

تفسير البحر المحيط

@ 52 @ وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورجوعهم عنه في أحد وغيرها . وتقليب الأمور : هو تدبيرها ظهر البطن ، والنظر في نواحيها وأقسامها ، والسعي بكل حيلة . وقيل : طلب المكيدة من قولهم : هو حول قلب . وقرأ مسلمة بن محارب : وقلبوا بتخفيف اللام . حتى جاء الحق أي : القرآن وشريعة الرسول صلى الله عليه وسلم) . ولفظة جاء مشعرة بأنه كان قد ذهب . وظهر أمر الله وصفه بالظهور لأنه كان كالمستور أي : غلب وعلا دين الله . وهم كارهون لمجيء الحق وظهور دين الله . وفي ذلك تنبيه على أنه لا تأثير لمكرهم وكيدهم ، ومبالغتهم في إثارة الشر فإنهم مذ راموا ذلك رده الله في نحرهم ، وقلب مرادهم ، وأتى بصد مقصودهم ، فكما كان ذلك في الماضي كذا يكون في المستقبل . .

{ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا }
وإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ { : نزلت في الجد بن قيس ، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم) لما أمر بالغزو إلى بلاد الروم حرص الناس فقال للجد بن قيس : (هل لك العام في جلد بني الأصفر) وقال له وللناس : (اغزوا تغنموا بنات الأصفر) . فقال الجد : ائذن لي في التخلف ولا تفتني بذكر بنات الأصفر ، فقد علم قومي أنني لا أتمالك عن النساء إذا رأيتهم وتفتنني ، ولا تفتني بالنساء . هو قول ابن عباس ومجاهد وابن زيد . وقيل : ولا تفتني أي ولا تصعب عليّ حتى احتاج إلى موقعة معصيتك فسهيّل عليّ ، ودعني غير مختلج . وقال قريباً منه الحسن وقتادة والزجاج قالوا : لا تكسبني الإثم بأمرك إياي بالخروج وهو غير متيسر لي ، فأثم بمخالفتك . وقال الضحاك : لا تكفرني بإلزامك الخروج معك . وقال ابن بحر : لا تصرفني عن شغلي معك هلك مالي وعيالي . وقيل : إنه قال : ولكن أعينك بمالي . ومتعلق الإذن محذوف تقديره : في القعود وفي مجاورته الرسول صلى الله عليه وسلم) على نفاقه . وقرأ ورش : بتخفيف همزة إئذن لي بإبدالها واواً لضمه ما قبلها . وقال النحاس ما معناه : إذا دخلت الواو أو الفاء على أئذن ، فهجاؤها في الخط ألف وذال ونون بغير ياء ، أو ثم فالحجاء ألف وياء وذال ونون ، والفرق أنَّ ثم يوقف عليها وتنفصل بخلافهما . وقرأ عيسى بن عمرو : لا تفتني بضم التاء الأولى من أفتن . قال أبو حاتم هي لغة تميم ، وهي أيضاً قراءة ابن السميّقع ، ونسبها ابن مجاهد إلى إسماعيل المكي . وجمع الشاعر بين اللغتين فقال : % (لئن فتننتني فهي بالأمس أفتنت % . سعيداً فأمسى قد فلا كل مسلم .

%) .

والفتنة التي سقطوا فيها هي فتنة التلخف ، وظهور كفرهم ، ونفاقهم . ولفظة سقطوا تنبئ عن تمكن وقوعهم فيها . وقال قتادة : الإثم بخلافهم الرسول في أمره ، وإحاطة جهنم بهم إما يوم القيامة ، أو الآن على سبيل المجاز . لأنَّ أسباب الإحاطة معهم فكأنهم في وسطها ، أو لأنَّ مصيرهم إليها . .

{ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِغُونَ } : قال ابن عباس : الحسنة في يوم بدر ، والمصيبة يوم أحد . وينبغي أن يحمل قوله على التمثيل ، واللفظ عام في كل محبوب ومكروه ، وسياق الحمل يقتضي أن يكون ذلك في الغزو ، ولذلك قالوا : الحسنة الطفر والغنيمة ، والمصيبة الخيبة والهزيمة ، مثل ما جرى في أول غزوة أحد . ومعنى أمرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم في التلخف عن الغزو ، من قبل ما وقع من المصيبة . ويحتمل أن يكون التولي حقيقة أي : ويتولوا عن مقام التحديث بذلك ، والاجتماع له إلى أهلهم وهم مسرورون . وقيل : أعرضوا عن الإيمان . وقيل :